# أنقاض تاكسيلا الخضراء

## أقدم موقع أثري في باكستان

تحقيق: زبير طاهر
تصوير: فراز أحمد

تاكسيلا، المدرجة في قائمة اليونسكو للتراث العالمي، موقع فريد من نوعه، ويقع على بعد ثلاثين كيلومترا غرب إسلام آباد، عاصمة باكستان. حكم التاكشاكيون تاكسيلا في العصر البرونزي كما يتضح من بعض اللقى من هذا الموقع. وقد أطلقوا عليها اسم "تاكشا سيلا" التي تعنى باللغة السنسكريتية "دولة الملك تاكشا". وكانت تاكسيلا تعرف أيضا باسم " مدينة الحجر" واحتلت مكانا مقدّسا في البوذية. ونظرا لكونها من العصور القديمة، فقد ورد ذكر تاكسيلا في كثير من اللغات مع اختلافات صوتية طفيفة، ولكنها كانت تعرف باسم ستاكسيلا" عند اليونانيين.

وجود تاكسيلا في فترتي العصرين الحجريين الوسيط والمتأخر قد أثبت من خلال الشواهد الأثرية المتميزة التي عثر عليها، مثل المصنوعات والرحى الحجرية والإبر المصنوعة من العظام، والأصنام الطينية والعملة.

لقد قام السير جون مارشال، المدير العام للمسح الأثري في الهند، أيام الحكم

أحجار الرحى Grinding stones

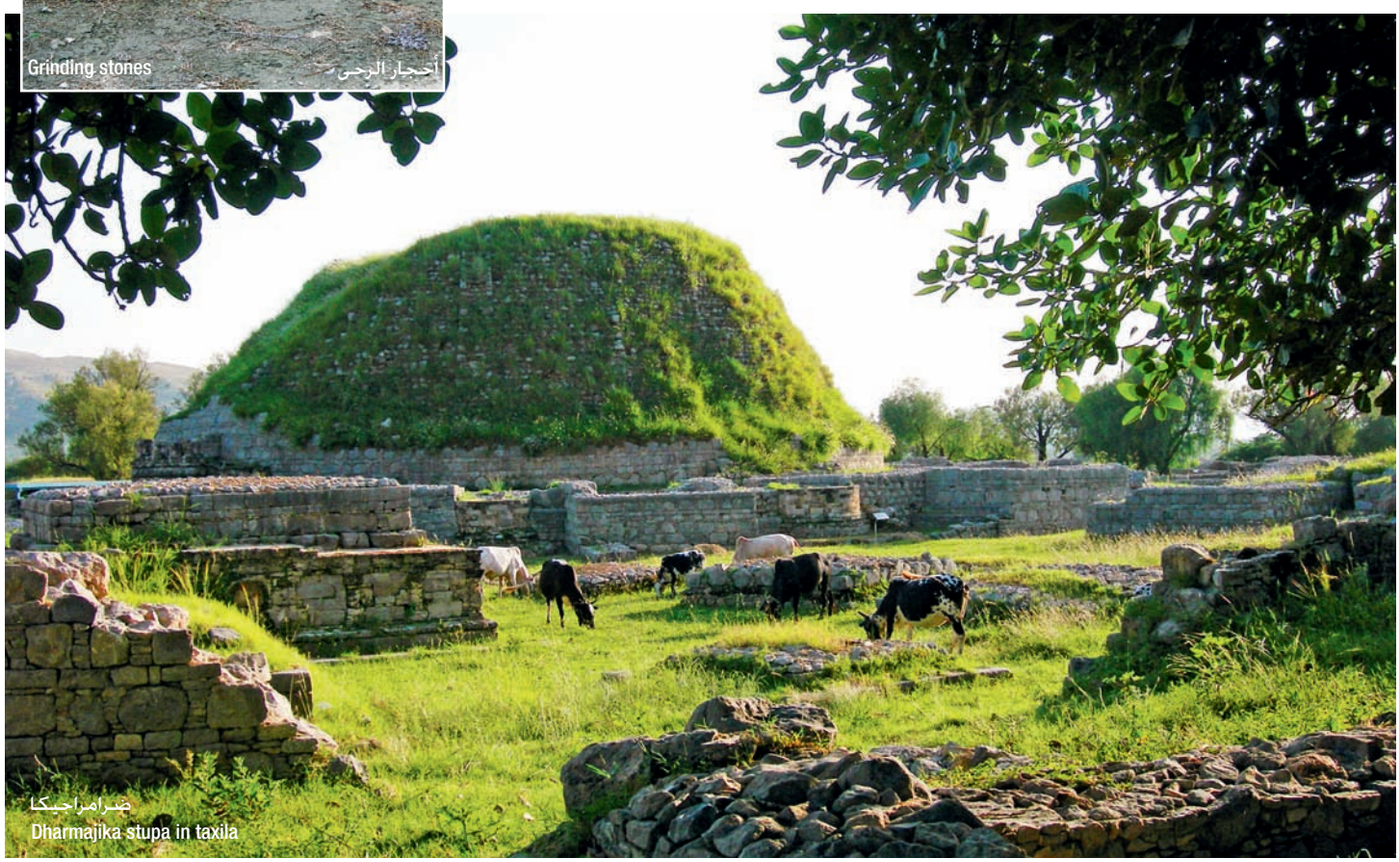

ضرامراجيكا
Dharmajika stupa in taxila

البريطاني، باكشتاف هذا الموقع ما بين 1913 و1925. وهو الذي وضع بعد ذلك تصميم متحف تاكسيلا ووضع الأساس له في عام 1918 في الموقع. وقد افتتح هذا المتحف في عام 1928 وهو يحتوي على مجموعة قيمة من تماثيل فريدة من نوعها، والنقود المعدنية والخزف والمجسدات الجبسية ومواد أخرى كثيرة. وتأتي أهميتها ليس فقط من كونها معالم سياحية، ولكن أيضا لوجود الآثار الدينية ذات الأهمية الكبيرة، لا سيما بالنسبة للبوذيين والجين والهندوس. ويوفر هذا المتحف فرصة لرؤية الماضي ببصيرة أكثر وضوحا وغير مسبوقة. ساهم في الإكتشافات الأخرى السير مورتمر ويلر وآثاري باكستاني.

وقد فتح داريوش الأول، الإمبراطور الأخميني الفارسي، مقاطعة غاندرا في القرن السادس قبل الميلاد، وأسس مدينة تاكسيلا كعاصمة للمقاطعة في 518 ق. م. لكن داريوش الثالث أطيح به من قبل الإسكندر الأكبر في 326 ق. م. لقد قدم أضحية هنا قبل بدء الحرب المعروفة ضد بورس المشهورة في التاريخ. وقد اشتهرت هزيمة بورس بسبب الفوضى وضياع الأرواح تحت أقدام الفيلة المتراجعة. وقد وصل العصر اليوناني إلى نهايته في عام 317, وأعقبه حكم أسوكا الذي ينتمي إلى سلالة موريان.

وازدهرت في عهده تاكسيلا إلى حد كبير، فأدخل عليها الديانة البوذية، وبنى أسوكا أول ستوبا (وهي عبارة عن قبة تحوي رفات الملك) في تاكسيلا. وكان أسوكا يعرف أيضا باسم "ضراما راجا أو الحاكم المتدين"، ولذلك سمّي أول مجمع للبوذية

تقع آثار تاكسيلا في منطقة جميلة

Taxila's ruins are in a nice natural setting

جدران

Walls

في تاكسيلا باسمه "ضرامراجيكا". وبعد وفاة أسوكا اقتحم اليونانيون تاكسيلا ودمروها ونقلوا مركزها من موقع بهرموند القديم إلى سركاب.

كذلك حكم الآريانيون تاكسيلا وأطلقوا على المنطقة اسم "غاندرا"، أو أرض العطر (من كلمة "غاند" الهندية والتي تعنى العطر). وفي الواقع إن نوعا خاصا من العطر ما زال يعبق في تاكسيلا وحولها، حتى حدود تلال ومنطقة هزارا. ويقال إن الاسم الآخر لبوذا هو "الهزارة" وأن مقاطعة الهزارة الباكستانية الحالية كانت تحمل اسمه.

وتعرض القطع الفنية من غاندرا في كل المتاحف الشهيرة في العالم تقريبا، بما في ذلك المتحف البريطاني حيث تحفظ بعض القطع النقدية من تاكسيلا التي تنتمي إلى العصر البرونزي وحضارة غاندرا. ومعظم القطع في متحف تاكسيلا تنتمي إلى فترة ازدهار غاندرا ثقافيا. وتمثال "بوذا الزاهد" الشهير عالميا اكتشف أيضا في تاكسيلا وقد تم الإحتفاظ به في متحف لاهور، عاصمة مقاطعة البنجاب فى باكستان. ونظرا لمهارة صنعه وأثره الملهم، فقد انتشرت النماذج المقلدة منه في العديد من المتاحف الأخرى.

والغرض من الستوبا، والتماثيل والمجسدات الجبسية في هذا المكان إنما هو لنشر تعاليم بوذا وإبراز معالم من حياته، في شكل كتابات وصور من عالم الإنسان والحيوان. ويمكن فهم ذلك إذا ما لاحظنا موقع المنطقة الاستراتيجي على طريق الحرير الذي يربطها مع الصين. وأصبحت تاكسيلا مركزا تعليميا ومقرا للكثير من علماء الهندوسية والجين والبوذية، ناشرين المعرفة في مختلف التخصصات بما فيها الدينية واللغوية والعلوم الصرفة. وقد كتبت قواعد اللغة السنسكريتية من قبل عالم من سكّان تاكسيلا.

وتنتشر حفريات تاكسيلا على مساحة واسعة وتتألف من ثلاثة مواقع آثارية هامة (أو مدن قديمة)، وهي بهرماوند، وسركاب، وضرامراجيكا. وبهرماوند هي المدينة الأقدم والأقل تخطيطا، كما يبدو من

تفاصيل من جدار
Details from a wall

تأثيرات يونانية
Greek influences

معالمها. وسيركاب (الهائلة) تبدو بالمقارنة أفضل تخطيطا وتضم العديد من المعابد والأديرة. وهي تقع على بعد حوالي كيلومترين من المدينتين المذكورتين. وضرامراجيكا هي الأحدث والأكثر روعة من بين المدن الثلاث وتحتوي على ستوبا كبيرة.

البساطة والتنظيم يبدوان عاملا مشتركا لجميع المباني. وقد وضعت الرفوف في مقصورات الأديرة لكي تحمل المصابيح، والحجر الذي استخدم في البناء، وليس له شكل هندسي منتظم، قد جرى ترتيبه بشكل منظم، ووفق مقاييس هندسية. استخدم في البداية الحجر الجيري والحصى ولكن في وقت لاحق استخدمت طريقة أخرى، وذلك بوضع الحجر غير المنتظم الشكل فوق بعضه، بشكل ماهر، ثم سد الثغرات بمادة أخرى تتناسب مع الحجارة من دون رصّها. وما يزال هذا الأسلوب في البناء يمارس في ضواحي تاكسيلا، وإسلام آباد.

تاكسيلا الحالية هي مدينة هامة لباكستان ومعروفة بجامعتها الهندسية ومجمّع شركة المعادن. وتاكسيلا وواه هما مدينتان توأمان، وتشتهر الأخيرة بالإنتاج الحربي ففيها مصانع لديها القدرة على إنتاج والدبابات والطائرات.

وقد جرت العادة عند الحديث عن بعض الأشياء التي لا قيمة لها، بأن نقول "لقد أصبحت الآن جزءا من التاريخ!" تاكسيلا كلها تاريخ، ولكن ليس بنفس المعنى المشار إليه! تاكسيلا كلها خرائب ولكنها لا تزال خضراء! التنقيب يبدو على شكل تطريز على سجادة خضراء. والأعشاب وأنواع النباتات المنتشرة في الموقع قد تعرض هذا الموقع الآثاري المهم للخطر، وربما حان الوقت للتفكير في وقف زحف هذه النباتات من أجل إنقاذ هذا التراث وحفظه للأجيال القادمة. ■

تفاصيل من الأسس Details from the foundation

جدران Walls